

الدكتور نجيب الكيلاني : مساهمته في حقل الرواية

د. أبو جمال محمد قطب الإسلام نعماني*

إن الأدب العربي الحديث قد ترسخ وجوده في محافل الآداب العالمية الأخرى في أيدي الكتاب والأدباء والشعراء الأفاضل مثل رفاة بك الطهطاوي (ت — 1873م)، و جبران خليل جبران (ت — 1931م)، وأحمد شوقي (ت — 1932م)، وحافظ إبراهيم (ت — 1932م)، مصطفى صادق الرافعي (ت — 1936م)، وأمين الريحاني (ت — 1940م)، ومعروف الرصافي (ت — 1945م)، و خليل مطران (ت — 1949م)، وطه حسين (ت — 1972م)، وتوفيق الحكيم (ت — 1987م) وغيرهم . وفيما بعد تأثر العالم العربي بكتابات أولئك العباقرة الذين خلفوهم من أمثال نجيب الكيلاني (ت — 1995م)، وشوقي ضيف (و — 1910م) ونجيب محفوظ وغيرهم .

ولا شك أن حياة نجيب الكيلاني مليئة بالعطاءات الأدبية والثقافية. وقد خلف الكيلاني آثارا قيمة وثمينة بقلمه السيال حيث كسب بها إعجابا وإشادة من قبل رجال الفن والأدب كما احتل منزلة رفيعة بين معاصريه بالغوص في بحر فنون الأدب وضروبه . فقد كان قاصا ذا اتجاه فريد و متميز عن الآخرين ولم يكن مصورا لواقع الحياة فحسب. بل كان معالجا ومحللا لقضايا الحياة المتنوعة كما امتلك موهبة شعرية رقيقة فياضة، وأنشد قصائد، وألف دواوين، وصنف كتباً في النقد. رغم أنه لم يخض في حياته معارك نقدية تذكر ولم يتعرض بالنقد لأحد. وكذلك أسهم في كتابة السيرة الذاتية والمسرحية إسهامات جبارة تستحق الثناء والتقدير. فضلا إلى الدراسات الأدبية الأخرى المتنوعة.¹ وكذلك أنه مثل ظاهرة فريدة في الأدب الإسلامي المعاصر حيث شرح فكرة الأدب الإسلامي المعاصر وتصوره وعناصره ومزاياه. وبذلك كان بحق من رواد الفكر الإسلامي المعاصر والمنظرين المبدعين لفكر الأدب

* د. أبو جمال محمد قطب الإسلام نعماني، رئيس قسم الدعوة والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بشيئاغونغ.

الإسلامي، وأقدم الدعاة إلى الأدب الإسلامي . وثبت أنه مؤسس فن الرواية الإسلامية المعاصرة من خلال إنتاجه الغزير المحكم ، وشهدت له الأوساط والمحافل الأدبية بحسن أدائه الرفيع وإبداعه المميز وفنه الأصيل.² وهذه هي المجالات الأدبية والثقافية التي حام حولها قلمه السيلال ولكنني في مقالتي الوجيز ألفت أنظار القراء إلى نبذة وجيزة لحياته وأعماله الأدبية عامة ورواياته خاصة نظرا إلى ضيق الصفحات المحددة لكتابة المقال لكل باحث.

حياة د. نجيب الكيلاني : (1931م – 1995م)

ولد أدينا العملاق ذو المواهب المتعددة نجيب بن إبراهيم بن عبد اللطيف الكيلاني في أول خزيان "يونية" عام 1931م³ الموافق شهر محرم عام 1350هـ⁴ في قرية شرشابه التابعة لمحافظة الغربية في مصر،⁵ وكان أول مولود لأبويه.⁶

وأسرة الكيلاني أسرة كبيرة كانت تقطن قرية شرشابه وبعض القرى المجاورة، وكان والده لم تتح له فرصة التعليم، بيد أنه كان ذا فطرة صادقة وخبرة عميقة بالحياة.⁷ وأنه كان يعمل الزراعة، ويعول أسرته المكونة منه، ومن زوجته السيدة فاطمة، وثلاثة أبناء . هم: نجيب ، هو أكبرهم سنا، وأمين ومحمد . وحين بلغ نجيب الثامنة من عمره اندلعت الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) فعاشت القرية في أزمة اقتصادية شديدة.⁸

كانت أسرته تواجه تلك الأزمة بصبر وعزيمة. ولعل كاتبنا قد تأثر تأثرا كبيرا بما رآه من والديه، ولذا رأيناه يواجه مشكلات حياته بثبات وتسلیم، وظل على مبدئه، وهويدرك مدى التضحية التي يجب عليه تقديمها .

ومن الذين أثروا في حياته، جده لأمه (الحاج عبد القادر الشافعي). وكان رجلا صالحا وتاجرا من كبار تجار القطن، وحافظا للقران الكريم وهو لا يباري في أعمال البر والخير . يقول د. نجيب : "كنت شديد التأثر بأخلاقيات وسلوك هذا الرجل العظيم في طفولتي أكثر من تأثري بأي إنسان آخر. كان يشجع والدي على تعليمي ، ويقدم لي الهبات وخاصة عندما يعقد لي امتحانا في المساء وهو مضطجع على سريريه، وكان رفيقا بي عندما أخطئ ، فلا يكاد يشعر الآخرين بخطئي".⁹

حياته العلمية والثقافية :

نشأ وترعرع أديبنا في ظل تلك الأحوال الحرجة السالفة الذكر آنفا التي كان من الممكن أن تحول بينه وبين مواصلة تعليمه، لولا عناية الله تعالى . وقد التحق نجيب بكتاب القرية وكان عمره آنذاك أربع سنوات حيث تعلم فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وقدرًا يسيرًا من القرآن الكريم. ولما بلغ عمره إلى سبع سنوات التحق بالمدرسة الأولية الإلزامية الوحيدة في القرية حيث يذهب إلى الكتاب صباحًا وإلى المدرسة الأولية ظهرًا.¹⁰ وكان جده لأبيه إبراهيم يحض على تعليمه والعناية به لما لمسه فيه من ذكاء ورغبة في التحصيل. ولما بلغ الثامنة من عمره أخذه إلى مدرسة الإرسالية الأمريكية الابتدائية بقرية "سباط"، وألقه بها. فما كان من والد نجيب إلا أن قبل بذلك بعد أن كان مترددًا تخوفًا من النفقات المالية الباهظة التي سيضطر إلى تحملها.¹¹ وقد نجح في الاختبار النهائي للإبتدائية بتفوق، وكان ترتيبه التسلسلي الخامس على جميع طلبة منطقة وسط الدلتا.¹² ثم التحق بالمدرسة "كشك الثانوية" لمدينة زفتى لم يقض فيها سوى فترة وجيزة جدًا.¹³ ثم التحق بالمدرسة الثانوية بطنطا، وأكمل دراسته فيها ونجح في الامتحان بتفوق عام 1949م وكانت الدراسة في الثانوية 5 سنوات حيث لم تكن هناك آنذاك مرحلة إعدادية.¹⁴ بعد الحصول على الثانوية العامة التحق بكلية الطب في جامعة فؤاد الأول عام 1951م وكان يفضل الالتحاق بكلية الآداب أو الحقوق لكن والده أرغمه على دخول كلية الطب فوافق على ذلك كرها منه . ثم ما لبث أن أحبها ورغب فيها. وقد عادت عليه دراسته العلمية تلك بفوائد. وفتحت له آفاقًا جديدة في العلم والمعرفة ونمت فيه روح الموضوعية ودقة الإحكام والالتزام الدقيق بالنظام.¹⁵ فلما انتقل نجيب إلى السنة الرابعة بالكلية تم تقديمه إلى المحكمة الشعبية بالقاهرة عام 1955م للمحاكمة بسبب انضمامه إلى جماعة الإخوان، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات مع التنفيذ بيد أنه قد تم الانفراج عنه بعد مضي أربع سنوات في السجن عام 1959م بسبب صحي ثم أكمل دراسته بعد الانفراج عنه، ونال شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة عام 1960م.¹⁶

كان نجيب الكيلاني مولعا بالقراءة بخاصة تلك المجالات الأدبية التي صدرت في تلك الفترة كالرسالة والثقافة والهلال والمقتطف . وعن طريقها تعرف على كثير من الأدباء كسيد قطب، ومصطفى صادق الرافعي، والعقاد، والمازني، والمنفلوطي، وطه حسين وتوفيق الحكيم

ولم يكن له في البداية اتجاه واضح محدد بل كان يقرأ كل ما يقع تحت يده من القصص العالمية والعربية ودواوين شعراء كثيرين كالمتنبي وشوقي وحافظ. وطوال إقامته في طنطا كان أحد الرواد الدائمين لمكتبتها العامة حيث لم تكن تسمح له موارده المالية بشراء الكتب، فكان يضطر أحيانا إلى الاشتراك مع زميل له في شراء كتاب معين ثم يقرآنه بالتناوب .¹⁷

ومن الذين أسهموا في تثقيف أدينا (عمه عبد الفتاح) . يقول د. الكيلاني عنه : إنه " كان منكبا على قراءة كتب المنفلوطي (النظرات وماجدولين..... الخ)، وكتب الرافعي (وحي القلم، والمساكين، و أوراق الورد)، ودواوين شوقي ومسرحياته والقليل من مؤلفات طه حسين، وبعض كتب التراث ، وكنت أخذ بعض هذه الكتب — بعد أن كبرت — وأحاول القراءة فيها، فأفهم البعض ولا أستطيع استيعاب البعض الآخر، وكنت ألتجأ إليه أحيانا ليشرح لي ما غمض منها . لقد كان عمي بحق هو المورد الأول لتقافتي وهو الذي أخذ بيدي إلى التزود بالثقافة العامة . وكان لا يخل على الكتب بمال .¹⁸

حياته الاجتماعية :

تزوج د. نجيب الأدبية الإسلامية السيدة كريمة شاهين عام 1960م ، وخلف وقت رحيله أربعة أولاد : ثلاثة ذكور وبتنا واحدة، وكلهم مثقفون، وهم : د. جلال الدين ، والمهندس حسام ، والمحامي محمود ، والدكتورة عزت.¹⁹

حياته العملية :

أما حياته العملية فقد بدأها بعد تخرجه في الكلية حيث أصبح طبيبا في الوحدات المجمع في وزارة النقل وفي مجمع السكك الحديد الطبي في مصر طوال سنين، ونال خبرات ميدانية في هذا الحقل . أما مؤلف "حكايات طبيب " فتتاج هذه الخبرات ولكن النصيب لم يكتب له الحياة الطبيعية لمدة طويلة إلى أن اعتقله الرئيس جمال عبد الناصر عام 1965م أثناء الاعتقال

العام، وزج به في السجن مرة ثانية ثم خرج من حياة الزنزانة حيث عمل في الكويت ثم في دبي، وتلقب هناك في مناصب إدارية مختلفة كان آخرها عمله مديرا للثقافة الصحية بوزارة الصحة بدولة الإمارات العربية المتحدة وكان أحد أعضاء اللجان الفنية للأمانة الصحية لدول الخليج وأقام هناك قرابة ربع قرن .²⁰

ثم رجع إلى بلاده "مصر" نهائيا قبل وفاته بسنة ثم ذهب إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية بعد أن أصيب بمرض عضال عانى منه أشد المعاناة وتم إدخاله في مستشفى الملك فيصل التخصصي هناك للعلاج حيث وافته المنية بتاريخ 1415/10/5هـ الموافق 1995/3/6 م، وكان أثناء مرضه مثال المؤمن المحتسب تغمده الله تعالى بوسع رحمته وشامل مغفرته، وأدخله فسيح جناته كفاء لما قدم للإسلام والمسلمين.²¹

انخراطه في الإخوان المسلمين :

تعرف نجيب على الإخوان عن طريق أحد زملائه يدعى "علي" أثناء إقامته في مدينة " زفتي" بحضوره في احتفال أقيم بمناسبة الهجرة النبوية بمبادرة من الإخوان المسلمين ثم أعجب بها، وتفتح قلبه وعقله لما سمع، ومن ثم بدأ يحضر احتفالات الإخوان المسلمين في المناسبات بالاستمرار كما كان يغشى مجتمعات الإخوان ، وينهل من ثقافتهم وعلمهم، ويتعلم الكثير منهم على الرغم من عدم انضمامه إليهم رسميا، وعندما بدأ اتصاله المكرر بالإخوان كان يجد ميلا جارفا لمبادئهم وأفكارهم وسلوكهم. وحال دون ذلك الكبرياء والتعصب إلا أن هذا الحاجر النفسي الصلب قد تحطم فجأة بإرادة الله عندما رأى أفواج المتطوعين من الإخوان تجوب شوارع طنطا وهم يرددون هتافاتهم قبل سفرهم للجهاد في أرض فلسطين ، وعندما رأى الصدام المروع بينهم وبين حكام تلك الفترة .

ومن جانب آخر قد أثرت حادثة اغتيال المرشد العام للإخوان الأستاذ حسن البنا في نفسه تأثيرا إيجابيا بليغا كما أثرت في نفسه رؤيا رأها في المنام بأنه التقى بالإمام حسن البنا ، وصافحه ، وأخذ البيعة في يده ، وانخرط في سلك الإخوان المسلمين .²²

مشاركته في المؤتمرات والندوات:

شارك د. نجيب في أكثر من 20 مؤتمرا وندوة دولية بحكم أنه كان عضوا بارزا لاتحاد الكتاب ونادي القصة، وأول رواد ومؤسس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية التي دعا لها في كتابه، " الطريق إلى الاتحاد الإسلامي " عام 1960م .²³

الاتجاه الإسلامي لدى د. نجيب الكيلاني :

ذكرنا — فيما سبق — أن الدكتور الكيلاني قد حفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم ، وأنه كان قد أعجب بدعوة الإخوان المسلمين فانضم إليهم عن اقتناع وإيمان . ولذا فلا غرابة أن نرى الروح الإسلامية تسري في أعماله الأدبية والعلمية كلها. فقد رأينا مشاركته في بحث قضايا الأمة الإسلامية المعاصرة من خلال كتبه ، ودراساته التي تعد إضافة جيدة إلى مكتبة الثقافة الإسلامية وبخاصة كتابيه : (تحت رؤية الإسلام) و (حول الدين والدولة) وغيرها من البحوث والدراسات الموضوعية عن مشكلات المسلم المعاصر. وفي مجال رسم معالم الأدب الإسلامي المعاصر، فإن كتابه (الإسلام والمذاهب الأدبية) يعد محاولة رائدة في بابه. وكان الدكتور الكيلاني من أوائل الداعين إلى أن يكون للمسلمين أدب متميز، يتفق مع متطلباتهم الفكرية والعقائدية، ويتمشى مع التوجيهات الربانية لإقامة المجتمع الإسلامي الكريم الذي يتولى عمارة الأرض ومحاربة الفساد والظلم.

ومما نبه نجيب الكيلاني إلى أهمية الأدب الإسلامي بعامته والقصة الإسلامية بخاصة أنه رأى كثيرا من الشيوعيين يشجعون الناس، ويدعوهم إلى قراءة قصة (الأم) للكاتب الروسي مكسيم جوركي، وعرف منهم أنهم يعكفون على تلك الرواية وأمثالها مما يخدم اتجاههم لأنهم يدرسون أن دعوة الناس عن طريقة القصة أسهل بكثير من شرح آراء (ماركس) و (إنجلز) وغيرها من دعاة الشيوعية . منذ ذلك اليوم فاق كاتبنا على حقيقة بالغة الأهمية وهي ضرورة تكريس الأدب في خدمة الدعوة الإسلامية، وتؤكد له صحة ما انتهى إليه، حين رأى اليهود والمبشرين وأصحاب الاتجاهات المنحرفة يجعلون من الأدب بعامته والفن القصصي بخاصة مطية ذلولاً لبث سمومهم ونشر ضلالاتهم .²⁴

وفي مجال الدراسات الطبية لا يغيب عنا ذلك التوجيه الإسلامي وإضفاء الروح الإسلامية على الحقائق العلمية . تلك الميزة التي تمتازها مؤلفات الكيلاني الطبية . فكتابه (في رحاب

الطب النبوي) وكتابه (الصوم والصحة) نموذجان مناسبان في هذا المقام حيث بين فيهما بما لا يقبل الشك أن صح ثبوته عن الرسول عليه السلام من إرشادات في بناء الإنسان الجسمي والعقلي والنفسي أن ذلك هو الحق بعينه وأن ما لم يستطع الطب الحديث إثبات صحته الآن فإنه سيتمكن من ذلك في المستقبل بعد مسيرة مضيئة من التجارب والدراسات المستفيضة.

ونجده في أشعاره يهتف بعظمة الإسلام، ويدعو إلى التمسك بأهداب ديننا الخنيف، ففيه النجاة من الضياع وفي دواوينه الشعرية، وبخاصة ديوانه (أغاني الغرباء) نلحظ روح الإرادة والتصميم لدى كاتبنا. وأنه لن يجيد عن الخط الذي رسمه لنفسه لأنه آمن بذلك الإيمان كله، ومن هنا يمكننا أن نعد ديوانه ذلك صوتاً إسلامياً يعبر عن حياة الداعية إلى الله واستمساكه بعمدته الذي عليه ينجح، وعليه يموت، وعليه يلقي الله تعالى. ²⁵

أعمال نجيب الكيلاني الأدبية والعلمية :

قد خلف لنا نجيب الكيلاني آثاراً أدبية وعلمية ضخمة من الرواية والقصة والمسرحية والشعر والنقد والترجمة الذاتية والثقافة العامة والدراسات الإسلامية والصحية والأدبية ما يربو على تسعين كتاباً عدا الكثير من المقالات التي نشرها بين حين وآخر في مختلف المجالات الإسلامية والأدبية والصحية. وقد استبدت النتاج الروائي والقصصي بأغلب مؤلفاته، إذ بلغت رواياته 44 رواية، وبلغت مجموعاته القصصية سبع مجموعات. وسأذكر فيما أدناه قائمة مؤلفاته الضخمة التي لها اسم حقيقي أو اسم وجودي.

أولاً : الرواية :

- | | | |
|-------------------|---------------------|--------------------------------------|
| 1. نور الله جـ 1 | 2. نور الله جـ 2 | 3. الطريق الطويل |
| 4. اليوم الموعود | 5. قاتل حمزة | 6. مواكب الأحرار (نابليون في الأزهر) |
| 7. النداء الخالد | 8. دم لفطير صهيون | 9. عذراء جاكارتا |
| 10. ليالي تركستان | 11. عمالقة الشمال | 12. الظل الأسود |
| 13. ليالي السهاد | 14. رجال وذئاب | 15. في الظلام |
| 16. ليل الخطايا | 17. ليل وقضبان (ليل | 18. رأس الشيطان |

العبيد

19. عذراء القرية
20. الذين يخترقون
21. الربيع العاصف
22. طلائع الفجر
23. أرض الأنبياء
24. أرض الأشواق
25. عمر يظهر في القدس
26. رحلة إلى الله
27. رمضان حبيبي
28. على أبواب خير
29. حمامة سلام
30. حكاية جاد الله
31. اعترافات عبد المتحلي
32. امرأة عبد المتحلي
33. ملكة العنب
34. مملكة البلعوطي
35. أهل الحميدية
36. قضية أبو الفتوح

الشرقاوي

37. الرجل الذي آمن
38. لقاء عند زمزم
39. ابتسامة في قلب شيطان
40. الرايات السوداء
41. أميرة الجبل
42. الكأس الفارغة
43. عذراء القرية
44. يوميات الكلب شملول

ثانيا : المجموعات القصصية

:

45. عند الرحيل
46. العالم الضيق
47. موعدنا غدا
48. الكابوس
49. حكايات

51. فارس هوازن

ثالثا: الترجمة الذاتية :

52. لمحات من حياتي جـ ١
53. لمحات من حياتي جـ ٢
54. لمحات من حياتي جـ 3
55. لمحات من حياتي جـ 4
56. لمحات من حياتي جـ 5
57. لمحات من حياتي جـ 6

رابعا : المسرحيات :

58. على أسوار دمشق
59. محاكمة الأسود العنسي
60. الوجه المظلم للقمر
61. الجنرال علي
62. حسناء بابل

خامسا : المجموعات

الشعرية:

63. نحو العلاء
64. كيف ألقاك
65. عصر الشهداء
66. أغاني الغرباء
67. مدينة الكبائر
68. أغنيات الليل الطويل
69. مهاجر
70. لؤلؤة الخليج

سادسا : دراسات متنوعة :

71. مدخل إلى الأدب الإسلامي
72. آفاق الأدب الإسلامي
73. رحلي مع الأدب الإسلامي
74. تجربيّ الذاتية في القصة الإسلامية
75. المسرح الإسلامي
76. القصة الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة
77. أدب الأطفال في ضوء الإسلام
78. الإسلامية والمذاهب الأدبية
79. الطريق إلى اتحاد إسلامي
80. الإسلام وحركة الحياة
81. الإسلام وحركة الحياة
82. حول الدين والدولة
83. تحت رؤية الإسلام
84. نحن والإسلام
85. الثقافة في ضوء الإسلام
86. إقبال الشاعر الثائر الخالدين
87. المجتمع المريض
88. الإسلام والقوى المضادة
89. الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق
90. أعداء الإسلامية
91. قصة الأيدز
92. الثقافة الصحية
93. الصوم والصحة
94. مستقبل العالم في صحة الطفل
95. رعاية المسنين في الإسلام
96. في رحاب الطب النبوي

وكان من المفترض أن يتضمن هذا العدد قائمة أخرى للدراسات والأبحاث والمقالات والقصائد التي تناولها مبدعا وكاتباً وإنساناً ، وللأسف فقد كان هذا الأمر فوق طاقتي

المحدودة ، وبالرغم من ذلك أذكر بعضا منها التي عثرت عليها بعد المشقة والبحث الطويل فيه ، وهي :

- 1- سارتر وأمراض العصر.
- 2- الفكر المعاصر وسوق الشعارات .
- 3- الأدب الإسلامي.
- 4- وظيفة النقد في المجتمع الإسلامي.
- 5- حول أزمة الفكر العربي المعاصر.
- 6- الأدب الإسلامي وقضية الإبداع .
- 7- الوجه الحضاري للأدب الإسلامي.
- 8- سلسلة المكتبة الصحية :

تحتوي هذه السلسلة بضع رسائل صغيرة ، تضم كل منها موضوعا من موضوعات الإرشاد الصحي ، وكل في حدود ثلاثين صفحة من القطع الصغير ، وهذه الرسائل قامت بنشر وتوزيعها وزارة الصحة بدولة الإمارات العربية المتحدة ولم توضح تاريخ الطبع، وهي:

- ا. الدواء سلاح ذو حدين.
- ب. الدفتريا عدو الطفولة .
- ج. الغذاء والصحة .
- د. الملاريا.
- هـ. الرياضة.
- و. التيفود.
- ز. الدين والصحة.
- ح. الجدري والجدري.
- ط. التحصين وقاية بطفلك.
- ي. احترس من ضغط الدم.

هذه القائمة أشمل القوائم وأدقها لمؤلفات د. نجيب الكيلاني في نظري لأني اقتبستها من مقال أعمال نجيب الكيلاني " الذي كتب بعد وفاته، ومن رسالة الماجستير " الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية " ثم قارنتها مع القوائم التي وصلت إلي عن طريق أصدقائي المقيمين في الدول العربية، ومؤلفات نجيب الكيلاني التي عثرت عليها لغاية الآن .

الجوائز والتقدير العلمية والميداليات التي نالها د. نجيب لكتابات الإبداعية والإسلامية

نال د. نجيب الكيلاني عددا كبيرا من الجوائز والميداليات التي منحتها إياه المؤسسات العلمية والأدبية تقديرا له على نتاجه الأدبي الرائع، واعترافا بكتابات الإبداعية والإسلامية . ومن هم تلك الجوائز :

1. جائزة وزارة التربية والتعليم على روايته (الطريق الطويل) 1376هـ - 1957م.
2. جائزة وزارة التربية والتعليم على روايته (في الظلام) 1377هـ - 1958م.
3. جائزة وزارة التربية والتعليم على كتابه (إقبال الشاعر التائر) 1377هـ - 1958م.
4. جائزة وزارة التربية والتعليم على كتابه (شوقي في ركب الخالدين) 1377هـ - 1958م.
5. جائزة وزارة التربية والتعليم على كتابه (المجتمع المريض) 1377هـ - 1958م.
6. جائزة نادي القصة والميدالية الذهبية المهداة من طه حسين على مجموعته القصصية (موعدنا غدا) 1379هـ - 1959م.
7. جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب على روايته (اليوم الموعود) 1960م.
8. جائزة وزارة التربية والتعليم على مجموعته القصصية (دموع الأمير).
9. جائزة مجمع اللغة العربية على روايته (قاتل حمزه) 1392هـ - 1972م.
10. الميدالية الذهبية من الرئيس ضياء الحق - رئيس جمهورية باكستان - عن كتابه (إقبال الشاعر التائر) 1400هـ - 1980م.²⁶
11. جائزة مهرجان طشقند الدولي على روايته (ليل العبيد) 1972- 1973م، بعد أن حولت إلى فيلم سينمائي تحت اسم "ليل وقضبان".

إضافة إلى ذلك أن بعض أعماله ترجمت إلى لغات مختلفة : الإيطالية والإنجليزية والروسية والتركية والأفغانية والأردية والبنغالية كما قررت بعض مؤلفاته على طلبة المدارس في مصر وبعض البلاد العربية .²⁷

تكريمه .

كانت رابطة الأدب الإسلامي العالمية قد كرمته قبل رحيله ومنحته درع الرابطة لريادته وجهده الكبير حيث أقامت مهرجانين لتكريمه رائدا للأدب الإسلامي : أحدهما في مكتبها الإقليمي بالقاهرة والأخر في قصر ثقافة الزقازيق.²⁸ ومما يسترعي انتباهنا أن مظاهر تكريمه لم تنته بوفاته بل استمرت بعد رحيله أيضا حيث عقدت أكثر من ندوة عن أدبه : في النادي الأدبي بالقصيم بالمملكة العربية السعودية، وفي مقر المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة بمبنى المركز للشبان المسلمين وفي رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، فضلا عن الدراسات والأبحاث في مختلف الصحف والمجلات. وقد احتفت به مجلة المشكاة المغربية احتفاء خاصا كما احتفت به مجلة الأدب الإسلامي ، العددان : التاسع والعاشر احتفاء خاصا، وكذلك أصدرت رابطة الأدب الإسلامي عنه بعض رحيله كتابا للدكتور حلمي محمد القاعود تحت عنوان : " الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني " .²⁹

نجيب الكيلاني روائيا :

ظهر نبوغ نجيب الكيلاني وعبقريته وموهبته في مختلف الحقول الأدبية، بيد أنه اشتهر في مجالي الرواية والقصة أكثر من المجالات الأخرى. وخير دليل على هذا أن عدد رواياته وصل إلى 44 رواية كما وصل عدد قصصه إلى 7 قصص، وهي غالبا محكومة بالتصور الإسلامي وصادرة عنه. ومن خلال هذا الإنتاج القصصي الغزير استطاع أن يقدم النموذج الإسلامي من الرواية والقصة.³⁰

وقد شهدت له الأوساط والمحافل الأدبية بحسن أدائه الرفيع وإبداعه المميز وفنه الأصيل . فلذا يعد (د. نجيب) من أبرز الروائيين الإسلاميين المعاصرين . وبعبارة أخرى أنه هو الروائي الإسلامي الأول في اللغة العربية كما يعد من آوائل الأدباء الذين تبنا فكرة الدعوة إلى الأدب الإسلامي وإنشاء رابطة الأدباء الإسلاميين . وقد كرمته رابطة الأدب الإسلامي العالمية تكريما يليق بتاريخه الأدبي ولمكانته في الأدب الإسلامي.³¹

سوف ألقى نظرة خاطفة على رواياته بمشيئة الله تعالى وعونه. وبإمكاننا أن نقسم

رواياته حسب الموضوعات إلى :

1. الرواية التاريخية .

2. الرواية الاجتماعية.

3. الرواية السياسية.

الرواية التاريخية :

هي الرواية المبنية على التاريخ عامة . أما الرواية التاريخية المقصودة عند نجيب الكيلاني وهي التي تستلهم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي اللامع وتراث المسلمين المجيد بصفة عامة. وقد استدعى د. نجيب فيها التاريخ واستلهمه ليقدم للناس النماذج الإنسانية المشرقة من حضارتنا، ويرصد لهم جهاد الأباء في شتى جوانب الحياة دفاعا عن الدين وسعيا لتأسيس مجد غير مسبوق ، وفي بعض الأحيان كان يستدعي التاريخ ليعالج من خلاله قضايا راهنة أصابت الأمة بالإحباط واليأس، ويوقظ به الأمل في نفوس الأجيال الجديدة عن طريق إحياء المهمة وإيجاد العزيمة على كل حال فإن استلهم التاريخ في الرواية عند الكيلاني، كان إبرازاً لمعطيات الإسلام العزيمة وإمكاناته الهائلة في تحويل الإنسان المسلم إلى صانع حضارة وباني مجد وجندي ظافر في معاركه ضد الشر والتوحش. ويمكن أن نجد عددا كبيرا من رواياته التي عبرت عن ذلك مثل : نور الله، وقاتل حمزة ، وأرض الأنبياء، ودم لفطير صهيون، ومواكب الأحرار، واليوم الموعود، والنداء الخالد، وأرض الأشواق، ورأس الشيطان، وعلى أبواب خير، ورحلة إلى الله وعمر يظهر في القدس وغيرها . ومن الروايات المذكورة رواية " قاتل حمزة" أنجح الروايات في هذا الصدد.³²

الرواية الاجتماعية :

تحدث فيها نجيب عن هموم الناس والعلل الاجتماعية المتفشية بينهم وخاصة مشكلات سكان الأرياف المصريين مثل الفقر والجهل والأمراض المتوطنة والتخلف والخرافات والخنزعبلات. وحاول فيها وضع حلول ممكنة لها. وبهذا قد فارق كاتبنا الفنان الأديب الشهير نجيب محفوظ الذي صور صور مشاكل الأرياف وبذاءتها في رواية " أولاد حارتنا " ولم يذكر حلولاً لها . ومن ضمن الروايات الاجتماعية : الطريق الطويل، والربيع العاصف،

والذين يحترقون، وفي الظلام، وعذراء القرية، وحمامة سلام، وطلائع الفجر، وابتسامة في قلب الشيطان، وليل العبيد، وحكاية جاد الله وغيرها .

الرواية السياسية :

تحدث فيها عن الأوضاع السياسية الملتهبة بمصر حيث صور فيها سياسة الحديد والنار للحكومة المصرية بحق معارضيه وخاصة أنصار الإخوان المسلمين. ومعظم رواياته سياسية لأنه كان رجلاً واعياً بالسياسة وصوتاً قويا للإخوان. وبإمكاننا أن نقسمها إلى ثلاثة محاور حسب الموضوعات التي عرضها :

المحور الأول : يشمل الروايات التي تناولت الواقع السياسي في مصر قبل ثورة يوليو 1952م وبعدها مثل رواية الطريق الطويل. أما المحور الثاني فيتضمن الروايات التي تناولت واقع القضية الفلسطينية في أبعاده المختلفة بينما اختص المحور الثالث بالروايات التي طرحت القضايا السياسية البارزة التي يعيشها المسلمون في بعض الدول الإسلامية خارج حدود الوطن العربي (دول آسيا الوسطى التي كانت أو مازالت تحت الستار الحديدي الشيوعي من الاتحاد السوفياتي، والصين، وأثيوبيا، وأندونيسيا ونيجيريا)، واستطاع الكاتب فيها أن يكشف للعالم مأساة دامية أصابت ملايين المسلمين المنسيين الذين لا يتحدث عنهم أحد إلا نادرا ولا يعرف عنهم المسلمون في العالم العربي إلا القليل، وفي الوقت ذاته توقع انتصارهم وتحررهم وهو ما حدث بالفعل في أكثر من مكان وبخاصة في الدول الإسلامية التي استقلت أو تحاول الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفياتي . وتعد رواياته : ليالي تركستان، والظل الأسود، وعذراء جاكرتا وعمالقة الشمال، من أشهر رواياته في هذا الإطار. ويمكن أن تسمى هذه الروايات بالروايات الإستشراقية.³³

عرض روايات نجيب الكيلاني:

وفيما يلي، أقدم لكم عرضاً لثلاث روايات من الأنواع الثلاثة : التاريخية، والاجتماعية والسياسية كنماذج فقط لكي تتمكن من معرفة طريقة وأسلوب عرض الروايات.

1. قاتل حمزة :

وهي من ضمن روايات نجيب الكيلاني التاريخية الإسلامية حيث أنها تقع على 272 صفحة كما تشتمل على 30 فصلا . وقد قامت بطبعها ونشرها مؤسسة الرسالة بيروت طبعها الثالثة عشر عام 1414هـ/1993م. ونال أدينا جائزة مجمع اللغة العربية على روايته المذكورة عام 1392هـ — 1972م، وهي تعرض قضية الحرية عرضا دراميا من خلال التصور الإسلامي .³⁴ وهي رواية تاريخية قد اتخذت موادها من تاريخ صدر الإسلام حيث بين فيها الأديب صورة من أهم صور الصراع العنيف بين الإسلام والشرك وبين الخير والشر، وكشف عن طبيعة العلاقات التي نسجتها عنجهية الجاهلية، وفساد فكرها، وقدم صورة لإشراق الإسلام وعدالته وسموه وسماحته تلك السماحة التي أُنحت هؤلاء الطغاة من الدمار بدخولهم ساحة الإسلام، وبما من الله عليهم من هداية ورشاد.³⁵

كما أن الرواية اهتمت بتوضيح مفاهيم معينة لدى شخصياتها فإنها ركزت على مشكلة العبودية وقيمة الحرية. ومن خلال أحداث الرواية تتجلى صورة الرسول عليه السلام في قلب المؤمن وفي عين الكافر. وما تنسجه العناية الإلهية لنصرة دينه ونبيه ومقومات الشخصية الإسلامية وما تقوم عليه من طهرو عزيمة واتساق، وتستمر الرواية في نقل الأحداث التي تصور الصراع بأشكاله المتعددة بين وحشي بن حرب الذي حللت الرواية شخصيته والشخصيات الأخرى في الرواية .³⁶

لقد كان إسلام حمزة مرحلة جديدة للدعوة الإسلامية حيث تحز المشركون وعلى رأسهم أبو جهل في التعرض للرسول عليه السلام لأن حمزة — أحد فتيان قريش الذين يملكون من الفتوة قدرا كبيرا — يتواجد في أتباع الرسول عليه السلام ومن ثم كان القضاء عليه هدفا من أهداف المشركين لإضعاف الدعوة الإسلامية ولكن ذلك لم يتم إلا في موقعة أحد حيث تمكن العبد وحشي بن حرب — مولى جبير بن مطعم من صرعه لخربته، وذلك طمعا في عنقه مقابل ذلك . وكان مصرع حمزة مصدر غيظ وألم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ظل عالقا بصدوره حتى بعد إسلام وحشي . إذ قال له الرسول عليه السلام : " غيب وجهك عني". وقد التقط الطبيب الروائي تلك الحادثة من تاريخ الإسلام وأسس عليها روايته

وقد قدمه المؤلف مشاركا عبلة ليشكلا ضميرا لوحشي ، ذلك الضمير المحترق بنيران إذلال العبودية ثم بقية الشخصيات التي ساهمت تصعيد الأحداث، وأهمها حدث قتل حمزة وحادث إسلام وحشي هذه الشخصيات هي : هند بنت عتبة، وجبير سيد وحشي وأبو سفيان زعيم دولة الشرك ثم شبح حمزة الذي يظهر لوحشي في لحظات انهياره بفعل احتضانه للخمر طيلة الوقت بعد ما فرت عبلة ووصل لدينهما إلى المسلمين في المدينة المنورة

التحريض على الجريمة :

لقد كانت مهارة وحشي في استخدام الخبرة مصدرا لشهرته، وهذا قد شجع هند بنت عتبة وسيد جبير بن مطعم أن يجرضا وحشيا على قتل حمزة عبد المطلب انتقاما منه لقتله طعيمة بن عدي في معركة بدر ومقتل حنظلة بن هند والدها وأخيها بأيدي المسلمين. ومن ثم انطلق وحشي إلى جبل أحد لملاقاة المسلمين⁴¹ محمومًا بوعود هند وجبير ومثلنا بالغرور الذي يملأ داخله في أنه أفضل الرماة بالحربة وبكبرياء العبد الذي يحس بأن الجميع في حاجة إليه ولم يكن يدري أنه سيرتكب إثما كبيرا ووزرا جسيما. كان كل همهم أن يصبح سيذا وحرا، واحتدم القتال بين المسلمين والمشركين إلى أن وجد وحشي فرصة وقذف بحرته حمزة من بعيد وقتله.

أين هي الحرية ؟

قدمت الرواية وحشيا حرا بعد اغتياله لحمزة ولكن حياة الحرية هذه تختلف عن حياة العبودية التي عاش فيها ردحا من عمره . الآن يحق له أن ينادي بالسيد مثل جبير وأبي اسفيان وغيرهما سادة قريش، وأنه انتزع حرته بحرته ولكن هل حقا نال وحشي الحرية الحقيقية ؟ وهذا يحتاج إلى مناقشة من خلال قصة وحشي . وما من شك أن الحرية في الإسلام يختلف عن الحرية في الشرك والكفر. نعم، وعد سادة قريش وحشيا بالحرية ولكنها أية حرية هل هي الحرية التي يمارسها بلال بعد اعتناق أبي بكر إياه لوجه الله أم هي الحرية التي يمارسها الآن وحشي داخل المجتمع المكّي وبين أعرافه وتقاليده لقد اكتشف وحشي أنه أصبح عبدا لكل سادة قريش بعد أن كان لجبير فقط حيث يقول : لم أزل وحشي الوحيد

القلق الذي يضنيه التفكير والعذاب ... أن حصولي على الحرية في حد ذاته أمر يبدو هينا العالم كما هو ... أبو سفيان سيد مطاع، جبير مازال يحظى باحترام الجميع ونظرة الجميع إلي لم تتغير كثيرا ... فهم مازالوا ينظرون إلي من عل ... والكارثة أن العبيد في مكة يعاملوني في ود حتى لكأني واحد منهم ، هؤلاء الحمقى يباركون بحدي، ولكنهم لا يعلمون قدري إنهم لا ينجون ولا يخفضون رؤوسهم احتراما ... الناس حمقى لا ينسون ... وأحيانا يكونون حمقى لأنهم ينسون " 42

أصبح وحشي واعيا لمأساته ، أن الحرية التي حلم بها لم تتحقق ومكانته مازالت هي هي، عبد لأكثر.... أين هو من حرية بلال إلى جانب محمد ، أين هو من الحرية التي نادى بها الإسلام . إن قتله حمزة لم يفتح أمامه مغاليق أبواب الحرية بل على العكس ... أوصدها تماما فلم يعد أمامه سوى حربته يبتها لواعجه. لقد وصل الأمر لوحشي أن لم يعد له في الوجود سوى حربته، لقد أبغض الجميع وقد تمكن نجيب الكيلاني بمهارة بالغة من أن يكفل لوحشي كافة الظروف التي تجعل فعلته مدانة منذ البداية ، فلقد جرده من حبيته واحترام السادة، واحترامه لنفسه، ثم جعل طيف حمزة يطوف به مرعبا إياه كلما انغمس في الخمر بعد ما فارقه الجميع..." لقد دأب في الأيام الأخيرة على لزوم بيته . لأنيس له سوى كأسه، أصبحت الخمر من ألزم لوازمه الخمر والحربة أعظم صديقين له في الوجود " 43 وطيف حمزة يراه " إنه يعرفه جيدا ... هو لم يمت ... إنه يتقدم كالجمل الأورق وفي يده سيفه... لسوف يقتله .. النجدة ... سيقتله ... "ويصبح أنقذوني منه لست أنا المسئول يا حمزة ... إن جبير بن مطعم هو الذي حرضني." 44

نظرات في الرواية :

وقد التزم نجيب الكيلاني — في دقة متناهية — بالوقائع، وأدار من خلالها أحداث روايته هذه، إذ أن مشكلة الرواية التاريخية تتركز في أنها لا بد من أن تلتزم بكل الدقائق التي أوردتها التاريخ، حيث لا يمكنها الاعتماد على الخيال إلا في تحليل الشخصيات أو إضافة شخصيات مساعدة متوائمة بالطبع مع حسن سير الأمور داخل العمل الروائي، وكان نجيب موفقا غاية التوفيق في اختيار هذه الشخصيات وخاصة عبلة ووصال وسهيل ... والتزم نجيب بالأسلوب

العربي التاريخي الدقيق في التعبير ، اللهم إلا بضع هنات هنا وهناك مثل مصطلح (المصلحة العامة) الذي — ربما — لم يكن متداولاً في تلك الحقبة من التاريخ ،⁴⁵ إذ أن مراعاة التطور في استخدام اللغة هام جداً في هذه الروايات. لقد عبرت رواية — قاتل حمزة — لنجيب الكيلاني عن أزمة الإنسان وبخه في ذلك التاريخ عن حل لمشكلة العبودية في الجاهلية، وأوضحت — من خلال تطور أحداثها وشخصياتها — أن الإسلام قد وضع الأسس النهائية القوي في النظام العبودي كله ، مما أدى إلى انهياره تماماً ، واكتساب الفرد والمجتمع للحرية تحت ظلال الأعلام المظفرة لدين الله .

والرواية إضافة هامة في المكتبة الروائية الإسلامية ، تؤكد أن الروائي المسلم يمكنه تقديم التاريخ الإسلامي في إطار مشوق جذاب يضيف الكثير إلى جاذبيته الدينية ، ونجح نجيب الكيلاني في المحافظة على كافة التفاصيل التاريخية بكل قوة ، ووظفها طيلة صفحات الرواية في خدمة تطور الشخصيات المحورية التي بدأت آتمة كافرة قاتلة لأسد الله ثم انتهت بمجاهدة مؤمنة شاكرة وقاتلة لعدو الله.⁴⁶

2. الطريق الطويل :

هذه الرواية من ضمن رواياته الاجتماعية تقع في 310 صفحات حيث قامت بطبعها مكتبة مصر الطبعة الأولى عام 1963/1962م كما تشتمل على 21 فصلاً. وقد نال د. نجيب الكيلاني جائزة وزارة التربية والتعليم لروايته الأولى " الطريق الطويل " التي كتبها في السجن 1376 — 1958م بسبب فوزها في المسابقة وإحرازها المكانة الأولى، ونشرتها وزارة الثقافة والإرشاد (الطبعة الثانية). وقد استلمت الجائزة من وزيرها المرحوم السيد فتحي رضوان ثم قررتها الوزارة مقررًا على الصف الثاني الثانوي من ضمن المقررات الدراسية، واشترت منه كمية كبيرة من نسخها لمكتبات المدارس المتوسطة والثانوية والكلية.⁴⁷ وقد ذكر الكاتب فيها مأسى الفلاحين ومشاكلهم والظلم الواقع بهم كما ركز فيها على آثار الحرب العالمية الثانية على القرى — بما فيها شرشابه — وما خلفته من معاناة حيث صورها تصويراً صادقاً بأجمل عباراته وأبلغ بياناته وأروع أساليبه. وقد ترجمت هذه الرواية إلى مختلف اللغات بما فيها الإيطالية والروسية وحتى في لغتنا البنغالية. وعندما جاء مستشرق روسي إلى أدينا عن

وبسبب ضيق ذات يده اضطر إلى الاستدانة في كل مرة يشتري فيها جزءاً من أرض أخيه، الذي كان يبيع بعضها منها كلما احتاج إلى النقود ، لقد كان (عبد الدايم) يرفض أن يشاركه في أرض والده رجل غريب وذلك ما جعله تحت رحمة (مرسى أبي عفر) الرجل الذي يمتهن امتصاص دم الفقراء واستغلال حاجتهم فيقرضهم بالربا الفاحش.⁵¹

وحين استطاع الشيخ (عبد الدايم) الوفاء بجميع ديون (مرسى أبي عفر) فرح أيما فرح وأقبل على عمله (في الحقل أو المتزل بروح طيبة قوية وشغف زائد.... لقد خرج من قبل المعركة ظافراً على ما يبدو لأنه لم يفقد قيراطاً واحداً من أرض أبيه التي تركها إرثاً حلالاً وأمانة على عنقه لا يفرط فيها ولا يتزل عنها لأحد.⁵²

والبيئة المصرية شأها كشأن أكثر البيئات الإسلامية يقع أفراد مجتمعها في أخطاء، ترجع في حقيقتها إلى قلة الوعي الإسلامي، والكاتب يجعل من الريف النائي مسرحاً لقصصه الواقعية، ويذكر تلك الأخطاء التزاماً بمبدأ الأمانة في تصويره الواقع حيث يقدمه لنا بكل ما فيه من حسنات وعيوب. وهناك الكثير من الألفاظ والعبارات التي ينطبق بها بعض أبطال القصص، تتضمن مخالقات صريحة للإسلام وتدل على خطأ في اعتقاد أولئك، فمن ذلك ما تقوله جدة (سليمان) : بسم الله الرحمن الرحيم.... ياهادي يارب.... جدد ياسيدي عيسى العراقي.... همتك يا قطب الرجال⁵³ وما تقوله (حضرة) مخاطبة زوجها المعجب بـ (هتلر) والمتحمس له في حربه ضد بريطانيا : (أليس هتلر هو الذي أسقط القنابل على السيد البدوي؟؟ ولولاسرة (البائع) كراماته لكان المسجد والمقام العالي خرابة يعيش فيها اليوم.....)⁵⁴

3. عمالقة الشمال :

هذه الرواية من ضمن رواياته السياسية الإسلامية، وهي تقع على 184 صفحة كما تشتمل على 22 فصلاً. وقد قامت دار النفائس ببيروت بطبعها ونشرها لأول مرة عام 1391 هـ - 1971م. وفيما يلي نبذة عن هذه الرواية :

1. عثمان أمينو

2. نور

3. جاماكا- ممرضة
4. الشىخ عبد الله - أحد مشائخ الطريقة القادرية.
5. عبد الرحيم - رفيق عثمان في رحلاته إلى لاجوس والإيو وفي الحرب.
6. الأب توم - مبشر إنكليزي يعيش في إحدى قرى الإيو.....
7. مدام عليه - صاحبة فندق في الحي العربي في لاجوس.

1-شخصيات ثانوية:

- أ. قائد السجن
- ب. زعماء بعض القرى
- ج. ضباط
- د. عسكري
- هـ. مواطنون - تجار - خدم..... الخ
- و. هانيمان " طبيب مستشفى تبشيري".

2-قادة :

- أ. أحمد وبيلولو
- ب. إيرونسي
- ج. أوجركسو
- هـ. تشوكوما
10. مكان الرواية - دولة نيجيريا الاتحادية
11. زمن الرواية- الفترة من عام 1965م حتى 1970م. 55

يمكن اعتبار " سالق الشمال " واحدة من أهم أعمال نجيب الكيلاني الروائية وأكثرها نضجاً، سواء وضعت في صف رواياته الإسلامية المعاصرة (ليالي تركستان، عذراء جاكارتا ورمضان حبيبي) أم أدرجت في قائمة معطياته الروائية كافة. 56

ملخص الرواية :

عثمان أمينو رجل نظيف داعية للإسلام... يمارس التجارة ليتمكن من مواصلة الطريق يغريه صديقه "نور" بالذهاب إلى السينما، وهناك يتعرف على "جاماكا" ممرضة حسناء متنصرة يرتحف لمرآها، وينتهي به الأمر إلى الفرار من المكان لكن صورتها ونبضتها المثيرة استقرا هناك في أعماق أعماقه فكيف الفرار؟ " قد تسألني لماذا لم أتزوج ؟ لاشك أن جاماكا هي السبب لأني لو التقيت بفتاة مثلها منذ سنين لتزوجتها على الفور التي لم أكن قد وجدت الفتاة التي تجعلني أفكر في الزواج قبلها⁵⁷

ممرور الوقت يزداد تعلقا بجاماكا . وعند ما نوى عثمان أمينو أن يرحل إلى الجنوب بصحبة قطيع من الأغنام لبيعها هناك، طلب منه شيخه عبد الله أن يقوم بجولة أخرى في ميدان الدعوة إلى الإسلام مهمته الأصيله فوافق على ذلك فباع قطيعه في العاصمة لاغوس ثم انطلق إلى قبائل الإيبو مع صديق له عبد الرحيم وبعد اجتياز مخاطر شتى وصلا إلى إحدى القرى الوثنية والتقى بأميرها فرحب بهما المبشر (الأب توم) حاول أن يقيم جدارا بينهما وبين أهالي القرية وزعمائها ثم لجأ إلى محاولة الاغتيال مستعينا ببعض أنصاره ، لكن المحاولة تحبط هي الأخرى ، ويصر زعيم القرية على رحيل توم بعد انكشاف أساليبه الخبيثة كما يصر على قتل الجاني إلا أن إصرار عثمان وصاحبه على العفو عنه يكون له مردود عميق في نفس زعيم القرية وأبنائها فأعلنوا عن إسلامهم . وفي ذاك الوقت قامت حركة إيرونسي بالمجزرة الصليبية لكي تحصد رأس زعيم الشمال المسلم أحمد وبللو ومئات غيره من المسلمين ولكي يعلن إيرونسي نفسه حاكما عسكريا على البلاد، وبدأ الشمال المسلم يستشهد على يد أبناء الإيبو الذين صنعوا الجزرة بتوجيه من الاستعمار الصليبي، بدأ يشهد فترة سوداء من تاريخه : اضطهادا ومطاردة وخوفا وتجويعا واعتقالا وتعديبا ووقف المسلمون كالعالمقة أمام هذا التيار الجارف من الإقصار، " كان لابد أن تتحول كلماتنا واحتجاجاتنا إلى حركة منظمة لتقتلع الاخراف، وتعود الحياة الطبيعية إلى وطني القديم ، إن ساحل العبيد القديم لايمكن أن تعود إليه العبودية مرة أخرى " .⁵⁸

وبين الحين والحين كان عثمان يتذكر جاماكا، إلا أن الأحداث الأخيرة زادت الهوة بينه وبينها عمقا... إنهما من الإيبو. والإيبو هم الذين صنعوا المحزرة وذات يوم جاء عدد من الجيش إلى منزله وألقوا القبض عليه ثم زجوا به في السجن مع عدد كبير من الضباط وعلماء الدين وكتاب الصحف والمؤلفين المسلمين وعلى غير توقع تزوره جاماكا وتخبره أنها أعلنت إسلامها وأن ذلك كلفها كثيرا وظيفتها وأمنها فأبدى رغبته بالزواج بعد أن يفك الله أساره وقامت حركة مسلحة فألقت القبض على إيرونسي ورؤوس الفتنة فخرج عثمان أمينو من السجن ثم توجه إلى الشرق لدى قبائل الإيبو بأمر من شيخه عبد الله مصطحبا معه رفيقه عبد الرحيم ووصل إليه بعد شهر ونصف في الوقت الذي يتملأ أوجوكو - الحاكم العسكري للإقليم الشرقي - لإعلان تمرده الذي خططت له المؤسسات الصليبية والاستعمارية والصهيونية وكان أهل جاماكا قد تنصروا منذ عدة أعوام ثم رجع إلى سوكوتا مع رفقائه والتحق بالقوات المحاربة إيمانا بوحدة الأمة وحريتها.⁵⁹ ويتم الانتصار وتسقط دولة بيافرا المزعومة بهروب أوجوكو زعيم الحركة ودخول عمالقة الشمال عاصمتها محررين. وفيما بعد تم الزواج بين عثمان أمينو وجاماكا.

وما من شك أن هذه الرواية من روايات نجيب الكيلاني الشهيرة والقيمة. وفيما بعد سأحاول قدر جهدي أن أتبين مدى نجاحه أو إخفاقه في طرحه للموضوع السياسي في روايته "عمالقة الشمال" التي رصدت المؤامرات الواسعة التي استهدفت الوجود الإسلامي في نيجيريا. وقد قاد هذا التآمر بعض الدول الغربية المتغلغلة بنفوذها السياسي والاقتصادي والفكري في هذا البلد، واستعانت هذه الدول بالحركة التنصيرية لتثبيت هذا النفوذ من خلال استغلال بشع للنصرانية.

تناولت رواية "عمالقة الشمال" الصراع الدامي بين المسلمين والقوى المضادة الأخرى التي حاولت زعزعة الوجود الإسلامي في نيجيريا وتخطيمه. وقد التزم المؤلف التزاما دقيقا في عرضه للدقائق التاريخية لهذا الصراع بخلفياته وأسبابه، ومن هذه الحقائق المهمة:

1. إن قيام المستعمر البريطاني بتقسيم نيجيريا إلى عدة مناطق عرقية ومذهبية. قد فتح المجال لصراعات دامية بين الطوائف المختلفة، هذا ما أكدته أكثر من باحث من الذين يرون أن التمزق السياسي والحروب الأهلية كانت من نتائج هذا التقسيم الاستعماري.⁶⁰

2. أن لإسرائيل دورا بارزا في إثارة المشكلات في نيجيريا من خلال نفوذها القوي الذي تغلغل في هذه البلاد بشكل واضح من خلال إرسال المدربين والخبراء وإنشاء الشركات الخاصة الزراعية منها⁶¹ كما لعبت إسرائيل دورا بارزا في مساعدة الانفصاليين في إقليم بيافرا ما بين سنتي 1965-1970م.⁶²

3. تأكيد المؤلف على الارتباط المشبوه بين المبشرين والمستعمر الغريب غير مبالغ فيه، إذ ساهم هؤلاء في تثبيت وتقوية نفوذهم في نيجيريا، وقد تركزت جهودهم في المنطقة الشرقية من نيجيريا التي حدث فيها الانفصال عن الوطن الأم.⁶³

ولهذا كله يمكن القول إن نيجيا كان أمينا إلى درجة كبيرة في نقله لحقائق الصراع في نيجيريا أكثر من روايته (عذراء جاكرتا) و(ليالي تركستان) اللتين أخلتا ببعض حقائقهما التاريخية لتأييد وجهة نظره في تفسير الأحداث.

حطان رئيسيان سارت فيهما أحداث الرواية، خط سياسي تمثل بالمشاركة الفعلية التي قام بها "عثمان أمينو" في مواجهة حركة الانفصال في إقليم بيافرا ومقاومته للثورة الدموية التي تزعمها إبرونسي في شمال نيجيريا ضد قبيلة الهوسا المسلمة، ولم يمنعه الانخراط في العمل السياسي من القيام بالدعوة إلى الإسلام بين القبائل الوثنية والمسيحية على السواء وبخاصة في جذبته لأعداد كبيرة منها إلى الإسلام، مما أسهم إلى حد كبير في توحيد أبناء الشعب النيجيري في مواجهة المخططات الاستعمارية التي كانت تسعى لتحطيم هذه الوحدة. أما الخط الثاني في الرواية، فتضمن العلاقة العاطفية التي جمعت بين عثمان المسلم وجاماكا المسيحية، وقد تداخلت أحداث هذه العلاقة تداخلا كبيرا مع أحداث الخط السابق، فشكلتا وحدة متكاملة دون انفصال بينهما.

وكان للجوء المؤلف إلى أسلوب السرد بضمير التكلم على لسان عثمان الذي تولى سرد أحداث الرواية وتحليل مواقف شخصياتها أثر في خلق جو حقيقي وواقعي مؤثر في نفس

القارئ ، لما يتمتع به هذا الأسلوب في قدرته على الإيهام بحقيقة الأحداث والمواقف المختلفة في الرواية.⁶⁴

يحمد للمؤلف في رواية " عمالقة الشمال " نجاحه الكبير في التخلص من التقارير المباشرة في سرده للأحداث، وتحليله لمواقف الشخصيات، إذ لجأ إلى استخدام الحوار القصير والمكثف للتعبير عن ذلك ، وإن وقع أحيانا في بعض الاستطراد. ومن ذلك عملية البحث الطويلة التي قام بها عثمان للعثور على جاماكا بعد خروجه من السجن، واصطناعه المغامرات للوصول إليها.⁶⁵ مما جعل الأحداث تسير ببطء شديد وممل لافتقادها التدفق الطبيعي وحرية الحركة.

أما وصف المؤلف لبيئة الأحداث ، فقد كان دقيقا ومفصلا مما يجعل القارئ يعيش جو الرواية عن كذب دون شعور بالغموض تجاهها، فقد اطلعنا على المناطق المختلفة في نيجيريا من حيث سكانها وعاداتها وقيمها وأحوالها الفكرية والسياسية والاقتصادية.⁶⁶ وهذا ما افتقدته رواية ليالي تركستان.

أما شخصيات الرواية فتقع ضمن ثلاثة أقسام رئيسية، وهي : القسم الأول : ومثله عثمان أمينو المسلم الملتزم بخط سياسي وفكري محدد. القسم الثاني: ومثله نور ، وهو صديق حميم لعثمان يعبر عن المسلم غير المبالي تجاه الأحداث . القسم الثالث: ومثله الأب توم ، الذي وقف موقفا مضادا في مواجهة عثمان فكرا و سلوكا.

أما فيما يتعلق بعثمان أمينو فإن المؤلف قد أولاه كبير عنايته، لأنه يمثل الشخصية الأولى في الرواية والأكثر امتدادا على صفحاتها. أن عثمان أمينو مثل المسلم الواقعي الذي لم يخلق في الخيال والعالم الوهمية وإنما كان يعيش واقعة دون تزييف أو تكلف، وقد كانت نظرتة للإسلام نظرة شمولية متكاملة للإنسان والكون والحياة. وقد وفق المؤلف في تصويره لعثمان أمينو في جعله متفاعلا مع الأحداث والشخصيات المختلفة، فلم يعش على هامش الأحداث متلقيا لها دون أن يتأثر بها أو يؤثر فيها كما نجح المؤلف أيضا في الوقوف على صراعات عثمان الداخلية والخارجية التي انعكست انعكاسا مباشرا على تصرفاته وأفعاله المختلفة.⁶⁷

أما نور الذي مثل القسم الثاني فقد اقتصر اهتماماته على مطاردة النساء وشرب الخمر وارتياح أماكن اللهو الأخرى، حتى أصبح عبداً مطيعاً لشهواته التي أفقدته شعور الانتماء لعقيدته ولأمته ولوطنه فعاش على هامش الأحداث دون أن يشارك فيها ولو مشاركة متواضعة، إلا أن بعده عن المشاركة لم يمنعه عن الوقوع في المحنة التي وقع فيها غيره من مسلمي نيجيريا، إذ اعتقله الجيش باعتباره مسلماً ولو بالهوية وأنزل به عذاباً مهيناً وقد كان حضور نور أقل امتداداً وأهمية من عثمان إذ صورته المؤلف في مواقف محددة ليظهر مدى اللامبالاة التي وصل إليها في تعامله مع الأحداث.⁶⁸

ويرى عماد الدين خليل، أن صراع عثمان الملتزم بإسلامه مع صديقه نور المنحل لم يكن في الحقيقة صراعاً بين رجلين، وإنما هو امتداد بشكل غير مباشر لصراع عثمان مع نفسه الذي تولد عن تنازعه حول قيامه بواجبه تجاه دينه وأمه أو الركون للترف والملاذات كصاحبه، ولكن هذا الصراع كما يقول الدراس، اتخذ — على المستوى الفني — نمطاً آخر. تجسد في نور نفسه.⁶⁹

أما المبشر الأب توم، الذي مثل القسم الثالث والأخير من شخصيات هذه الرواية، فإنه رمز للمطامع الاستعمارية الضاربة الجذور في أفريقيا وفي كثير من بقاع القارة السوداء، إذ أن دخول المبشرين في بعثات تبشيرية مكثفة إلى نيجيريا وحرمت عليهم المنطقة الشمالية لأن المسلمين كانوا يحكمون السيطرة عليها.⁷⁰ وقد بدأ من بعض تصرفات الأب توم وكأنه رجل سياسي دون خيرة واسعة في تنفيذ الأهداف السياسية من خلال اتباع الوسائل الميكافيلية الخبيثة، فسعى لتحطيم وحدة نيجيريا شعباً وأرضاً بإثارة النزعات المذهبية والقبلية فيها، خدمة للمستعمرين وأهدافها.

ويلاحظ على المؤلف في تقديمه لتوم وتصويره له أنه يركز على بعض المواقف القليلة التي تظهر حقيقة انتمائه وطبيعة أهدافه على الساحة النيجيرية. ولهذا كان حضور الأب توم أقل امتداداً من الشخصيات الأخرى كعثمان ونور.

قائمة المصادر والمراجع :

1. أبو الحسن علي الحسيني الندوي، "تقدم"، مجلة الأدب الإسلامي الفصلية الصادرة من جدة، السنة الثالثة، العددان : التاسع والعاشر / رجب. ذوالحجة ، 1416م، ص3.
2. أبو الحسن علي الندوي، "افتتاحية"، المجلة المذكورة ، العدد نفسه، ص1.
3. أسرة التحرير، "الدكتور نجيب الكيلاني في سطور" ، المجلة المذكورة، ص6.
4. عبد الله بن صالح العريبي، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية ، ط1، الرياض: مطابع الدرعية ، (1409 هـ)، ص11.
5. نجيب الكيلاني، رحلة إلى الله ، ط1، بيروت : مؤسسة الرسالة ،(1369 هـ/1979م)، ص455.
6. نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي ، ط1، بيروت : مؤسسة الرسالة ، (1985م)، 1/21.
7. المصدر السابق ، 77/1.
8. المصدر السابق ، 37-38/1.
9. المصدر السابق ، 33/1.
10. المصدر السابق ، 32-33/1.
11. د. نجيب الكيلاني في سطور، ص6.
12. د. نجيب الكيلاني ، لمحات من حياتي، 1/105.
13. المصدر السابق ، 1/111.
14. المصدر السابق ، 1/105، د. نجيب الكيلاني في سطور، ص6.
15. عبد الله بن صالح العريبي ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني، ص 12-13.
16. د. نجيب الكيلاني في سطور ، ص 7.
17. عبد الله بن صالح العريبي، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني، ص 13.
18. د. نجيب الكيلاني ، لمحات من حياتي، 1/30-31.
19. عبد الله بن صالح العريبي ، الاتجاه الإسلامي ، ص 14.
20. المرجع السابق ، ص 14، د. نجيب الكيلاني في سطور، ص7.
21. المصدر السابق ، ص7.
22. د. نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، 1/122-127.
23. د. نجيب الكيلاني في سطور ، ص7.
24. عبد الله بن صالح العريبي، الاتجاه الإسلامي ، ص 16.
25. المصدر السابق، ص16-17.
26. المصدر السابق، ص29.
27. د. نجيب الكيلاني، رحلة إلى الله ، ص 455.

28. افتتاحية، مجلة الأدب الإسلامي المذكورة، ص1.
29. المصدر السابق، ص1، مجلة المجتمع، العدد-1151، محرم 1416هـ - 30/5/1995م، ص51، مجلة المجتمع، العدد-1173، جمادى الآخرة 1416هـ، 13/10/1995م، ص59.
30. عبد الله بن صالح العريني، الاتجاه الإسلامي، ص12.
31. في حوار رائع ومثير مع الروائي الكبير (نجيب)، أجهز الصحافي المصري السيد محمد الشافي القوصي المنشور في مجلة الأدب الإسلامي، العددان: التاسع والعاشر، ص170.
32. عبد الله بن صالح العريني، الاتجاه الإسلامي، ص13-14، سهيل بن ياسين، "نجيب الكيلاني روائيا" مقدمة أطروحة الماجستير المنشورة في مجلة الأدب الإسلامي المذكورة، ص134.
33. المصدر السابق، ص134، د. حلمي محمد القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني: دراسة نقدية، ط1، عمان، الأردن: دار البشير، (1416هـ-1996م)، ص13.
34. د. نجيب الكيلاني في سطور، ص1.
35. د. محمد علي داؤد، "دور السرد في البناء في رواية" قاتل حمزة"، مجلة الأدب الإسلامي، العددان: التاسع والعاشر، ص109.
36. المصدر السابق، ص109.
37. محمود ضفي كساب، "قاتل حمزة"، مجلة الأمة، قطر، العدد-27، (يناير 1983م، وربع الأول، 1403 هـ)، وهذا المقال منشور أيضا في كتاب "رحلتي مع الأدب الإسلامي للدكتور نجيب الكيلاني، ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة، (1406هـ-1985م)، ص139.
38. د. نجيب الكيلاني، قاتل حمزة، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، (1993م)، ص6.
39. المصدر السابق، ص7.
40. محمود ضفي كساب، "قاتل حمزة"، ص141-142.
41. د. نجيب الكيلاني، قاتل حمزة، ص16.
42. المصدر السابق، ص43.
43. المصدر السابق، ص116.
44. المصدر السابق، ص217.
45. المصدر السابق، ص177.
46. محمود ضفي كساب، قاتل حمزة، ص149.
47. د. نجيب الكيلاني في سطور، ص6.
48. د. نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، (1994م)، 4/63.
49. د. نجيب الكيلاني، الطريق الطويل، ط1، مصر: مكتبة مصر، (1962م)، ص59-60.
50. المصدر السابق، ص209.
51. المصدر السابق، ص62-64.

52. المصدر السابق ، ص 212.
53. المصدر السابق ، ص 187.
54. المصدر السابق ، ص 120.
55. د. نجيب الكيلاني، عمالقة الشمال ، ط 9، بيروت : دار النفائس، (1986م) ، ص 2-3.
56. د. عماد الدين خليل، "الإسلامية في رواية (عمالقة الشمال)" المنشورة في كتاب رحلتي مع الأدب الإسلامي لنجيب الكيلاني ، ص 111.
57. د. نجيب الكيلاني، عمالقة الشمال ، ص 12.
58. المصدر السابق ، ص 85.
59. المصدر السابق، ص 169.
60. عبد الملك عودة "سنوات الحسم في أفريقيا" 1960-1969م، ص 193-200، د. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط 8، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، (1990م)، مج 5/195-196.
61. عواطف عبد الرحمن ، إسرائيل وأفريقيا، بيروت : مركز البحوث ، (1974م)، ص 73، شحادة موسى ، علاقات إسرائيل مع دول العالم ، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت : مركز البحوث، (1971م)، ص 459.
62. المصدر السابق، ص 460-461، د. أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، 5/599.
63. محمود متولي ، أفريقيا والسيطرة الغربية ، دلالة تاريخية للاستعمار البريطاني في نيجيريا حتى سنة 1945م، القاهرة : مكتبة المعارف الحديثة، (1981م)، ص 77، 80.
64. سهيل بن ياسين، رواية "عمالقة الشمال : دراسة نقدية"، منشورة في مجلة الأدب الإسلامي المذكورة ، ص 86-87، جورج سالم، "المغامرة الروائية" ، ص 49، ميثال بوتور، "بحوث في الرواية الجديدة" ترجمة فريد أنطونيوس، بيروت وباريس : منشورات عويدات، (1982م)، ص 65-66.
65. د. نجيب الكيلاني ، عمالقة الشمال ، ص 169-184.
66. المصدر السابق ، ص 103.
67. أيضاً : 90، 106-152، 180.
68. سهيل ياسين ، رواية عمالقة الشمال : دراسة نقدية، ص 88.
69. د. عماد الدين خليل، محاولات جديدة في النقد الإسلامي المعاصر، ط 1، بيروت : مؤسسة الرسالة، (1981م)، ص 222-223.
70. محمود متولي ، أفريقيا والسيطرة الغربية ، ص 77، 80.